# الفصل الثانى عشر

# المجتمـــــع

١- وحدة الأمـــة.

٢- التنمية المستدامة.

٣- الهوية والتغريب.

٤- تجنيد الجماهير.

٥- التقدم والتأخر.

٦- التخلف والقعود.

٧- إنما المؤمنون إخوة.

# ١- وحدة الأمة

إذا كانت القضية الأولى فى اليسار الإسلامى هى تحرير الأرض من الاحتلال واستكمال حركة التحرر الوطنى، والقضية الثانية هى تحرير المواطن من كل صنوف القهر، والقضية الثالثة العدالة الاجتماعية ضد التفاوت الشديد بين الأغنياء والفقراء فإن القضية الرابعة هى وحدة الأمة، عربية أو إسلامية.

فقد قضى على الدولة العثمانية وتقطعت أطرافها بعد الحرب العالمية الأولى. وسقطت الخلافة بعد الثورة الكمالية فى ١٩٢٣. ووجد العرب فى القومية العربية بديلا يحميهم من أطماع الاستعمار والتى لم تتوقف، تلم شمل الدول العربية التى أنشئت بفعل اتفاقية سايكس- بيكو. ثم انهارت القومية العربية بعد هزيمة يونيو- حزيران ١٩٦٧ وانتهى المشروع العربى التحررى القومى إلى احتلال مصر وكل فلسطين وسوريا. وبعد أن عادت إليها الروح فى حرب أكتوبر- تشرين ١٩٧٣ انهارت مرة أخرى بعد غزو العراق لإيران فى ١٩٨٠ فى حرب الخليج الأولى ووضع تناقض بين الثورة العربية والثورة الإسلامية، ثم غزو العراق للكويت فى ١٩٩٠ حرب الخليج الثانية ووضع تناقض بين القومية والقطرية.

والآن تُغزى الدول من جديد كما حدث فى العراق وأفغانستان. وتُفكك الأوطان كما يحدث فى السودان والصومال. وتتحول إلى فسيفساء طائفى عرقى مذهبى، سنى وشيعى وكردى وتركمانى فى العراق، وسنى ماروني درزى فى لبنان، وسنى شيعى فى دول الخليج، ومسلم قبطى فى مصر، وعربى بربرى فى المغرب

العربى كله، وعربى أفريقى فى السودان، وزيدى شافعى فى اليمن، ونجدى حجازى فى السعودية، وصومالى سنغالى فى موريتانيا، ومغربى صحراوى فى المغرب الأقصى. وبالتالى تأخذ إسرائيل شرعية جديدة من طبيعة الجغرافيا السياسية فى المنطقة لإقامة دولة قومية يهودية فى فلسطين، وطرد أكثر من مليون فلسطينى من عرب ١٩٤٨. وتمنع أكثر من مليونين آخرين من اللاجئين من نكبة ١٩٤٨ ونكسة ١٩٦٧. وتنتهى أية قوة وحدوية فى المنطقة، إسلامية أو عربية أو قطرية فى الدول التاريخية فى المنطقة، مصر والعراق والمغرب. ويقضى على إمكانية تكوين قطب إسلامى أو عربى فى مواجهة القطب الأول، الولايات المتحدة الأمريكية، وإقامة عالم متعدد الأقطاب. فالعولمة ذات اتجاهين وليست اتجاها واحدا، توحيد المركز مجموعة الثمانية، الشركات المتعددة الجنسيات، الغرب الصناعى، وتفتيت الأطراف فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية كى تبقى سوقا للاستهلاك أو مصادر للمواد الأولية أو للعمالة الرخيصة.

وقد ذكر لفظ "الأمة" ومشتقاته فى القرآن حوالى مائة وثمانية عشرة مرة. منها ما يقرب الثلث بمعنى الأم والرحم. فالأمة بمثابة الأم، أم الجميع. والثلثان تقريبا بمعنى الأمة، معظمها بالمفرد "أمة" وأقلها بالجمع "أمم". ومن اللفظ اشتق لفظ "إمام" بمعنى القيادة. والنادر "أمى" بمعنى صاحب العلم الطبيعى الذى لا يأتى فقط من القراءة والكتاب. فمحور استعمالات "الأمة" كفرد حوالى النصف.

وهى أمة واحدة، تعبيرا عن الإله الواحد، وانعكاسا لصفة الوحدانية فى حياة البشر، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾. وهى أمة مسئولة على البشر جميعا. فهى آخر الأمم، ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾. وهى صاحبة رسالة، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾. وهى

رسالة الإله الواحد الذى يتساوى أمامه الجميع، وحدانية البشر، دون تمييز بين قوة وضعف، كثرة وقلة، لون أو لغة أو دين. أمة تدعو وتبلغ وتبين للناس. وهى رسالة خلقية توحيدية لا تقوم على المعيار المزدوج أو قسمة البشر إلى مركز ومحيط، متحضر وبدائى، ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾. وهى أمة وسطية لا تغالى. تأبى التطرف والغلو، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. وهى أمة ملتزمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. لذلك كانت خير أمة أخرجت للناس، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. هى أمة إبراهيم، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾. هى أمة فى التاريخ لها عمر كالأفراد لا تقلدها غيرها من الأمم السابقة. فالمتقدم لا يقلد المتأخر، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾. وبالرغم من أن المسئولية فردية، ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾. ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾، إلا أن المسئولية أيضا جماعية، ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾، جزاء التقليد الذى يؤدى إلى الهلاك وعدم تحمل المسئولية الجماعية.

ليست وحدة الأمة بالضرورة وحدة سياسية مركزية كما كان الحال فى السابق فى الدول الأموية والعباسية حتى العثمانية. فقد كانت الخلافة إسمية، والأمصار مستقلة عنها، أكثر أو أقل. بل هى وحدة الأخوة والتعاطف المشترك، الوحدة الوجدانية. وهى أيضا وحدة نسق القيم والمبادئ والتصور المشترك للعالم المستمد من التوحيد. وهى وحدة التضامن الاجتماعى والشعور بالأمة. هى وحدة المبادئ والغايات، المقاصد والأهداف لتحقيق الإسلام كنظام مثالى للعالم. وبلغة المحدثين هى وحدة الثقافة والحضارة ونسق القيم والتصور للحياة. وهى وحدة الجوار الجغرافى والتاريخ المشترك. وهى وحدة المصالح فى الحرية والاستقلال

والتنمية والتعاون ضد الأخطار المشتركة، الاستعمار وكل أشكال الهيمنة، والصهيونية كاستعمار استيطانى جديد.

لا تعنى وحدة الأمة بالضرورة وحدة سياسية كما كان الحال عند القدماء فى نظام الخلافة بل تعنى اللامركزية التى طالما دافع عنها المصلحون. وقد تعنى الفيدرالية أى سلطة مركزية فى الدفاع والخارجية، وسلطات محلية فى التنمية والحكم المحلى، جمعا بين العام والخاص. وقد تكون تعاونا إقليميا بين دول الجوار مثل مجلس التعاون الخليجى ومجالس التعاون بين كل دولتين جارتين قريبتين مثل مصر وليبيا، مصر والسودان، مصر والأردن، مصر والسعودية أو بعيدتين مثل مصر وتونس، مصر والجزائر، مصر والمغرب، مصر والعراق، مصر وسوريا. فمصر باستمرار هى أحد الأطراف بدلا من الشكل القديم للوحدة المركزية بقيادة الدولة- القاعدة.

لا تعود وحدة الأمة إلا تدريجيا ابتداء من وحدة الأقطار والحوار الداخلى بين تياراتها المختلفة فى جبهة وطنية أو ائتلاف وطنى مع اتفاق على الحد الأدنى على البرامج الوطنية. ثم تبدأ وحدة دول الجوار مثل الوحدة المدنية بين الشمال والجنوب، وحدة سياسية فى دولة مركزية واحدة. ثم تأتى وحدة مجالس التعاون مثل مجلس التعاون الخليجى كنوع من الفيدرالية. ثم تأتى مجالس التنسيق والتعاون بين دولتين، قريبتين أم بعيدتين كما تفعل مصر. ثم تأتى الوحدة الإسلامية فى النهاية، فى صورة عالم إسلامى متفق فى الأهداف. يكوّن كتلة تاريخية كبيرة مثل باندونج، العالم الثالث، عدم الانحياز، دول القارات الثلاث.

ليست الوحدة شعارات أو تمنيات. بل هى وحدة عملية تتحقق فى الواقع ويشعر الناس بآثارها وأهميتها ونفعها وصلابتها. تتحقق بفتح الحدود، ورفع الحواجز الجمركية، وحرية التجارة، وإلغاء تأشيرات الدخول فى "شنجن" عربى.

فالعرب يتمتعون بالشنجن الأوروبى، ويمنعون بالساعات فى مطاراتهم أو يُرحّلون حيث أتوا حرصا على الأمن. وقد كانت السوق العربية المشتركة فى أوائل الخمسينيات أسبق من السوق الأوروبية المشتركة. وقد تستطيع معاهدة الدفاع العربى المشترك أن تمنع من غزو الأقطار، واحدا تلو الآخر كما حدث فى العراق وفلسطين. قرارات كثيرة وتحققات قليلة. كلام كثير وأفعال قليلة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾.

# ٢ـ التنمية المستدامة

إذا كانت القضية الأولى فى اليسار الإسلامى تحرير الأرض من الاحتلال، والثانية تحرير المواطن من القهر، والثالثة العدالة الاجتماعية ضد فقر الأغلبية وثراء الأقلية، والرابعة الوحدة ضد مخاطر التجزئة والتقسيم الطائفى المذهبى والعرقى، فإن القضية الخامسة هى التنمية المستدامة.

والمصطلح غربى، من الدراسات التنموية الحديثة بعد صعود العالم الثالث إثر حركات التحرر الوطنى، وأخذه مكان الصدارة، وأغلبية الأصوات فى الأمم المتحدة، وثلثى سكان العالم. ولا يعنى لفظ "التنمية" مجرد النمو الاقتصادى الكمى أى تنمية الموارد بل يعنى أساسا التنمية البشرية أو التنمية الشاملة. فالإنسان هو الهدف الأول من التنمية، تنمية الإدراك والقدرات الذهنية والبواعث النفسية من أجل التوجه نحو الطبيعة، ووجود الإنسان فى العالم، ويتم الفعل والإنتاج والعمل والكد والكدح والسيطرة على مظاهر الطبيعة من خلال التعرف على قوانينها.

وهى التنمية المستدامة أى التى تعتمد على ذاتها وليس على المعونات الخارجية التى تنضب بالتوزيع دون إيجاد وسائل للاستثمار وتحويلها من كم إلى كيف، من توزيع إلى إنتاج. هى التنمية التى تولد ذاتها بذاتها مثل التيسير الذاتى، تنمية الإنتاج وليس تنمية الاستهلاك. وهى التنمية التى تحققت فى ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية عن طريق مشروع مارشال، وفى اليابان لإعادة بنائها بعد

تدميرها فى الحرب، وفى كوريا الجنوبية وماليزيا والصين والهند، اعتمادا على القدرات الذاتية ووضع خطط للتنمية المستمرة بعد الدفعة الأولى.

والهدف من التنمية المستدامة تحرير الإرادة الوطنية من الاعتماد على الخارج ودون ارتهانها بالمعونات الأجنبية المشروطة بالدخول فى أحلاف مع الدول المانحة أو إقامة قواعد عسكرية، برية وبحرية على أراضيها. فالطعام لا يستورد وإلا جاع الشعب فى حالة الحصار. والأمة التى لا تأكل مما تنتج تظل أسيرة لمصادر طعامها. وأهمها القمح. فرغيف الخبز حاجة أساسية كالماء والهواء والتعليم والصحة والإسكان. تدعمه الدولة حتى تستطيع الطبقات الفقيرة شراءه بالأجور المحلية التى لا تستطيع مجاراة الأسعار العالمية.

وتدخل التنمية المستدامة ضمن إعمار الأرض وتأسيس العمران فى مفهوم الأرض فى القرآن الكريم. فالأرض خضراء وليست صفراء. تخضر من نزول الماء عليها، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾. فالنبات الأخضر من فعل الطبيعة بنزول الماء على الأرض ومن فعل الإنسان بزراعة الصحراء، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾. فالإنسان فى زراعته الأرض يتشبه بالله الذى ينزل الماء عليها لتصبح مخضرة. والأخضر ضد اليابس. يأكله ويحتويه، ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾. واللون الأخضر هو لون أرائك الجنة، ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾، ولون ثياب أهل الجنة، ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾.

أما اللون الأصفر فهو لون سلبى، لون الجفاف والصحراء والهشيم الذى تذروه الرياح والذى يسهل اقتلاعه من الأرض، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾. وهو لون الريح العاتية التى تهب فلا تبقى ولا تذر، ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا

لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾. وهو لون شرار النار، ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾. هو لون الموت والضحية مثل بقرة نبى إسرائيل، ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾. وفى الثقافة الشعبية توحدت الثقافة العربية بالصحراء، التوحيد امتدادها اللانهائى، وأخلاقها التعاون والبر والتكافل، رموزها الجمل والناى والخيمة.

ويستمر الحديث فى صورة القرآن فى التأكيد على أن اللون الأخضر هو لون الحياة المستمرة. "لو جاء أحدكم ملك الموت وفى يده فسيلة فليغرسها". فالاخضرار فعل مستمر للإنسان من المهد إلى اللحد. وفى زيارة القبور يوضع العشب الأخضر والزرع الأخضر ترحما على الميت. فالحياة الخضراء مستمرة بعد الموت. وهو اللون المفضل عند الصوفية فى عمائمهم وأعلامهم وشاراتهم وبيارقهم. والشيخ الخضر رمزهم وإمامهم. وهو اللون الذى آثرته العديد من الدول الإسلامية لأعلامها الوطنية رمزا للأرض الخضراء. وهو اللون الذى يستعمل فى الحياة السياسية مثل "المسيرة الخضراء" و"الكتاب الأخضر".

مهمة الإنسان فى الطبيعة إذن السيطرة عليها وتسخير قوانينها لصالحه. علاقة الإنسان بالأرض هى علاقة الفاعل بالمفعول، الزارع بالزرع. فقد خلق الكون كله لصالح الإنسان. الأرض لفأسه، والماء لريه. دوره زرع الأرض وتحويل الصحراء الصفراء إلى أرض خضراء، وإقامة السدود وبناء الجسور لحفظ المياه كما فعلت الملكة سبأ فى تشييد سد مأرب. والإنسان قادر على تفجير الماء من الصخر كما فعل موسى حينما ضرب الصخر بعصاه فانفجرت منه العيون، وعندما سعت السيدة هاجر زوجة إبراهيم بين الصفا والمروة بحثا عن الماء لشرب ولدها إسماعيل حتى لا يهلكا عطشا فانفجرت عين زمزم والتى أصبحت فيما بعد من مناسك الحج.

ويرتبط مفهوم التنمية المستدامة ليس فقط بالطبيعة وتسخير قوانينها بل أيضا بمفهوم التقدم. وفعل "قدم" يعنى فى نفس الوقت القديم والتقدم والسبق، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾، وهو عكس التأخر، ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾. التنمية خير والسبق فيها فضيلة، ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾. وهو منافسة فى التقدم، ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾. والسابقون هم الذين ينالون الفوز، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾. ولفظ "سبق" أيضا مزدوج المعنى. يعنى السبق إلى الأمام والسبق إلى الخلف. وهو ضد تصور آخر شائع يقوم على أن السلف خير من الخلف، ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾، وأيضا "خير القرون قرنى، ثم الذى يلونه" حيث يبدو التاريخ منهارا، وأن السابقين خير من اللاحقين، وهو ضد الزمن والتقدم جوهره. وهى طبقات المؤرخين والمتكلمين والمفسرين والفقهاء.

إن كل شروط التنمية المستدامة متوافرة فى الوطن العربى: رؤوس الأموال من عوائد النفط، والعقول العربية القادرة على التنمية على مستوى أعلى الخبرات العالمية، والسواعد العربية والعمالة المهاجرة والخبرة التاريخية بالزراعة فى مصر والسودان والعراق، والأسواق الشاسعة وملايين البشر للاستهلاك. فلا يوجد ما يمنع من إقامة السوق العربية المشتركة القائمة على التكامل الاقتصادى.

وإذا كان العالم، كما يقال قرية واحدة، وكانت العولمة قانونه فإنه لا يحل أزمة الغذاء وأزمة المياه فى العالم إلا التوجه نحو الطبيعة والسيطرة عليها، وتسخير قوانينها، ونمو الأرض لزراعتها وتحويلها من أرض صفراء قاحلة إلى أرض خضراء يانعة. الإنسان فى العالم مصدر خير وليس عدما، أتى من لا شىء وينتهى إلى لا شىء.

ولما كانت الشعوب الإسلامية باستثناء البعض مثل ماليزيا وتركيا وإيران ضمن الدول النامية، حينئذ يكون معنى التنمية الدول التى تخطط للتنمية

المستدامة وليست الدول الوسطى بين الدول المتخلفة والدول المتقدمة. ويكون للتنمية معناها الدائم حتى عند الدول المتقدمة. فالتنمية موقف الإنسان من الطبيعة سيدا لها ومسخرا لقوانينها. وهى جانب من عملية التقدم الشاملة فى الكون والتاريخ.

# ٣- الهوية والتغريب

إذا كانت القضية الأولى فى اليسار الإسلامى تحرير الأرض استكمالا لحركات التحرر الوطنى ضد الهيمنة الجديدة وعودة الغزو العسكرى للأوطان كما حدث فى العراق، وكانت الثانية حرية المواطن ضد صنوف القهر الداخلى من نظم الحكم، والثالثة العدالة الاجتماعية ضد التفاوت الشديد بين الأغنياء والفقراء، بين ما يملكون أى شىء ومن يملكون كل شىء، والرابعة توحيد الأمة على المستوى الوطنى أولا ثم العربى ثانيا ثم الإسلامى ثالثا طبقا لنظرية الدوائر الثلاث، الوطن والعروبة والإسلام، والخامسة التنمية المستقلة المستدامة ضد الاعتماد على الخارج والمعونات الأجنبية حتى تستهلك الأمة ما تنتج. فإن السادسة هى الدفاع عن الهوية ضد مظاهر التغريب، وإثبات الأنا ضد الآخر. وهو ما سماه الفلاسفة المعاصرون "الاغتراب" أى تحول الأنا إلى آخر والذوبان فيه، وفقد هويتها بحيث يصبح الأنا غريبا على نفسه، فاقدا لهويته. والاغتراب فى حياتنا المعاصرة تغريب لأن الآخر الذى يستقطب الأنا هو الغرب. فأصبح الاغتراب تغريبا بالضرورة أى الانبهار بالغرب واعتباره هو النموذج الوحيد للتحديث. ومن لم يكن غربيا فهو ليس حداثيا أو أصوليا سلفيا.

والتغريب هو أولا ظاهرة ثقافية تعبر عن الاعتداد بالنفس وهويتها المستقلة وكيانها الذاتى. تعبر عن نفسها من خلال الثقافة الوطنية التى تحمى هوية الشعب وخصوصيته. كما تتجلى فى الفن وأساليب العمارة وطرز البناء، وفى الزى الشعبى

مثل الجلباب والعباية والخف بعد أن اختفى الطربوش التركى، وفى الأثاث العربى المعروف باسم "الأرابيسك" وفى أنواع الأطعمة الشرقية الشهيرة. وتتمسك كل الشعوب بذلك. فهناك الطراز الصينى واليابانى والكورى والهندى والماليزى والأندونيسى والتركى والإيرانى والعربى والأفريقى والأوروبى. هذه الخصوصيات والتعددية الثقافية والفنية هى أساس التعارف بين الشعوب المختلفة اللغات والمشارب من أجل التعارف والإثراء المتبادل. ثقافات متعددة وحضارة إنسانية واحدة. ويقطع الناس الفيافى والبحار ويعبرون القارات للتعرف على ثقافات الشعوب الصينية واليابانية والهندية والفارسية والمصرية القديمة والعربية. يعشقون الآخر، ويتمثلون ثقافاته وفنونه حتى أصبحت السياحة لدى بعض الدول المصدر الأول للدخل القومى. كما أن التمسك بالهوية ليس مجرد عود إلى الماضى بل هو حفاظ على الاستمرارية فى التاريخ وعلى الهوية المتجددة بين الماضى والحاضر والتى يساهم فيها كل جيل. هى موطن الإبداع، فلا معاصرة بلا أصالة، ولا جديد بلا قديم، ولا تحديث بلا تراث. لذلك أضيف إلى اسم بعض وزارات الثقافة "والتراث القومى"، بالإضافة إلى مصلحة الآثار والمهرجانات التراثية الشعبية التى تقام كل عام على الصعد الوطنية والعربية والعالمية.

والأهم من ذلك كله هو الأثر السياسى لقضية الهوية والتغريب. إذ تعنى الهوية الاستقلال الوطنى، والإرادة الوطنية المستقلة، والثقل السياسى، والتمسك بالثوابت الوطنية، وبالأمن القومى القائم على الجغرافيا والتاريخ والذى يعبر عن الموقع والموقف. تعنى الهوية رفض الدخول فى الأحلاف السياسية والعسكرية التى تجعل الدول الوطنية ملحقة بالدول المركزية الكبرى، وتبعية الأطراف للمركز كما كان الأمر فى حلف وارسو، وكما هو قائم الآن فى حلف شمال الأطلنطى ومشاركته فى الغزو الأمريكى لأفغانستان. تفقد الدول شخصياتها، وتتصف مواقفها

السياسية باليوعة، ويغيب التعاون الإقليمى والاعتماد المتبادل بين دول الجوار وتفقد قدرتها على التأثير فى موازين القوى العالمية. وتعجز عن لعب أى دور مؤثر فى السياسة الدولية.

مخاطرها بطبيعة الحال فى تحدى القوى الكبرى ورغبتها فى الهيمنة على الدول الصغرى لتأمين مصادر الطاقة، والاقتراب من روسيا والصين، ومقاومة سياسة الأحلاف كما فعل عبد الناصر فى مقاومة حلف بغداد فى ١٩٥٤، والحلف الإسلامى بين طهران وكراتشى فى ١٩٦٥، ورفض إقامة أى قواعد عسكرية فى مصر والوطن العربى. وهو ما تفعله الثورة الإسلامية فى إيران الآن دفاعا عن حق إيران فى الطاقة النووية مثل باكستان والهند شرقا وإسرائيل غربا وامتلاك كل القوى الكبرى غربا وشرقا لها.

والدفاع عن الهوية ضد التغريب هو روح القرآن والحديث تمسكا بالهوية الثقافية والشخصية المستقلة فى سورة الكافرين، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾. وتتكرر بعض الآيات مثل، ﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ للتأكيد. كذلك يرفض القرآن موالاة الآخر العدو مثل اليهود والنصارى، ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾. ومن يوليهم يصبح منهم، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

ويستمر الحديث فى رفض الموالاة والتبعية للآخر "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى. قال: فمن إذن؟". وهو سبب كتابة "علم الاستغراب" للتخلص من صورة الغرب كمصدر للعلم كى يصبح موضوعا للعلم، وللقضاء على

أسطورة الثقافة العالمية التى وحد الغرب نفسه بها. وكل حضارة نبت تاريخها وظروفها وعصرها، وللقضاء على عقدة العظمة لدى الغرب، وعقدة النقص لدى الشعوب اللاغربية من أجل حوار متكافئ بين الحضارات يقوم على الأخذ والعطاء، والتعليم والتعلم ضد المعلم الأبدى والتلميذ الأبدى.

وكلما اشتد التغريب بكل ما ينتج عنه من قيم الاستهلاك وملذات الحياة والتميع والذوبان والانصهار فى الآخر نشأت الحركات السلفية والأصولية للدفاع عن الهوية، والتمسك بالأصالة لدرجة "المفاصلة" بين الأنا والآخر، بين الإسلام والغرب طبقا لثنائيات الإسلام والجاهلية، والإيمان والكفر، والحق والباطل، والصواب والخطأ، والهداية والضلال. وهى ظروف نفسية نشأت عن تعذيب أعضاء الجماعات الإسلامية فى السجون كما حدث لسيد قطب فى ١٩٥٤ وكتابة "معالم على الطريق" الذى يكفّر فيه المجتمع بعد أن كان من دعاة الاشتراكية الإسلامية فى "العدالة الاجتماعية فى الإسلام"، و"الإسلام والرأسمالية"، و"السلام العالمى والإسلام". واليسار الإسلامى هو استئناف لسيد قطب الأول فى المرحلة الاشتراكية بعد المراحل الشعرية والأدبية والنقدية والفلسفية. كما أنه استئناف لمصطفى السباعى فى سوريا فى "الاشتراكية والإسلام".

هذا التقابل بين الأنا والآخر، فى الواقع النفسى والثقافى والسياسى والتاريخى، ليس موقفا مبدئيا بل فقط حين تتبع الذات الآخر وتذوب فيه. إنما الموقف المبدئى هو الحوار بين الذات والآخر كندين متكافئين مجتهدين دون تحديد مسبق أى الفريقين على خطأ وأيهما على صواب، **﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾**. وفى نفس الوقت الذى يحرم فيه القرآن موالاة الآخر بمعنى التبعية وفقدان الهوية يثبت المودة له، **﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾**. كما يؤكد التقاء الأنا

والآخر على كلمة سواء، نسق من القيم يقوم على الحرية والعدل للجميع فى آية المباهلة، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. وبتعبير الثوار المحدثين، يد تقاتل التبعية والتغريب، ويد تسالم من أجل حوار متكافئ بين الطرفين.

# ٤ـ تجنيد الجماهير

إذا كان فقه الأولويات فى اليسار الإسلامى يبدأ أولا بتحرير الأرض ضد الاحتلال، وثانيا بحرية المواطن ضد القهر، وثالثا بالعدالة الاجتماعية ضد الفقر، ورابعا بوحدة الأمة ضد التجزئة، وخامسا بالتنمية المستقلة ضد التبعية، وسادسا بالهوية ضد التغريب فإن القضية السابعة والأخيرة هى تجنيد الجماهير أو حشد الناس، وتحويل الأمة من الكم إلى الكيف، وتحويل حوالى مليار ونصف من المسلمين أى ربع سكان المعمورة من مجرد عدد كمى إلى طاقة كيفية قادرة على الصمود فى مواجهة خمسة ملايين من المستوطنين فى فلسطين. يساندهم ثمانية ملايين من يهود العالم. ومن ورائهم الدوائر العنصرية فى الولايات المتحدة الأمريكية خاصة المحافظين الجدد. فالأفكار فى حاجة إلى بشر، والأيديولوجيات فى حاجة إلى جماهير، والنبوات حركات تغير ودفعات تقدم فى مسار التاريخ. الأفكار بمفردها لا توجد إلا فى أذهان النخبة ثم تتحقق فى حركة الجماهير، من الخاصة إلى العامة، ومن القادة إلى الشعب.

وهو موضوع فلسفى واجتماعى وسياسى. تحدث فيه أورتيجا فى "ثورة الجماهير" ودوسيل فى "تربية المضطهدين". وتعرض إليه القدماء بتفرقتهم بين الخاصة والعامة على نحو معرفى خالص. فالخاصة هم القادرون على فهم الباطن وتأويل النصوص، فى حين أن العامة وظيفتهم التطبيق لظاهر الشريعة وطاعة الأحكام.

والسؤال هو: لماذا هذا السكوت المطبق للجماهير؟ أين الشارع العربى؟ "وين الملايين؟". يتحرك الشارع الأوروبى بالملايين من أجل قضايانا، ضد الغزو الأمريكى للعراق، وضد الاحتلال الإسرائيلى لكل فلسطين، والشارع العربى صامت، إلا من بؤر محدودة هنا وهناك، فى المغرب ومصر والبحرين والسودان واليمن وموريتانيا وعلى نطاق أوسع فى لبنان، والعرب ثلاثمائة وخمسون مليونا لا يتحركون لفك الحصار عن غزة. والمسلمون مليار ونصف ولا يتحركون لتحرير القدس، أولى القبلتين وثانى الحرمين. فما السبب فى هذا السكون المطبق؟

هل الخوف من السلطان وحكمه المطلق وأجهزة الأمن والشرطة العلنية والسرية؟ فهى الرعية وهو الراعى، تشبيه الغنم وراعى الأغنام. عليها السمع والطاعة، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. الخروج عليه فتنة، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾. هل العقائد الأشعرية هى المسئولة؟ القضاء والقدر والأمثال العامية التى تولدت منه والتى حاول المصلحون مناهضتها؟ فالحاكم الظالم قضاء من الله، وقدر منه، لا يمكن تفاديه. هو امتحان واختبار وبلاء. فالمؤمن مصاب. هل تصور الإمام عند الفلاسفة والمتكلمين، كامل الأوصاف الذى لا يوجد أكمل منه؟ حكمه بالطبيعة والتاريخ والزعامة الشخصية ومدى الحياة. ليس محددا بمدة أو بسلطة إلا الكتاب الذى يمكن تأويله لصالح النخبة ولصالح الجماهير فى آن واحد وكما يتضح هذه الأيام فى مبدأ "الحاكمية". هل الهروب إلى التصوف والطرقية هو السبب فى تحويل الدين إلى اغتراب خارج العالم، والاتحاد بالله بالقفز فوق العالم، والتحول إلى الرأسى تعويضا عن الأفقى؟ هل هى كل القيم التى أفرزها التصوف، المقامات والأحوال، الصبر والتوكل والخوف والخشية والرضا والتسليم التى منعت الناس من الثورة والغضب والتمرد والاعتراض والنفى والمواجهة؟

هل تعودت الجماهير فى تاريخها الحديث من محمد على حتى عبد الناصر على أن تعمل فى الدولة وتخدم مشروعها الوطنى الذى تقوم به الدولة نيابة عن الأمة؟ فتعودت الجماهير على الطاعة والسلبية والتصفيق للحكام، حربا أم سلما، اشتراكية أم رأسمالية، قطاعا عاما أم خاصا، باسم الديموقراطية المباشرة التى يعبر فيها الزعيم والقائد والأخ عن مصالح الجماهير؟ هل اكتفاء الجماهير بالسعى وراء الرزق والبحث عن رغيف الخبز مع التنازل عن الحرية، فى حين أن القرآن يجمع بينهما، ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾. هل لأن الفترة الليبرالية كانت قصيرة فى حياتنا بعد ثورة ١٩١٩؟ وكانت وافدة من الخارج وليست نابعة من الداخل. تمثلتها النخبة دون الجماهير.

هل السبب هى الانقلابات العسكرية الأخيرة فى منتصف الخمسينيات التى احتكرت من خلال الحزب الواحد، العمل السياسى، بعد ثقة الجماهير بالضباط الأحرار، ومشاهدتهم على الطبيعة إنجازات الثورة: الإصلاح الزراعى، التأميم، القطاع العام، تدعيم المواد الغذائية، لجان تقدير الإيجارات، بناء المدارس. وعلى الصعيد الخارجى: مقاومة الاستعمار والصهيونية، القومية العربية، باندونج، العالم الثالث. كانت هناك هبات شعبية محدودة مثل أزمة مارس ١٩٥٤، والمظاهرات الشعبية ضد أحكام الطيران فى مارس ١٩٦٨، والهبة الشعبية ضد غلاء الأسعار فى يناير ١٩٧٧، وتحركات الأمن المركزى ضد الفقر فى يناير ١٩٨٦، والمظاهرات ضد العدوان الأمريكى على العراق فى يناير ١٩٩١ وضد الغزو الأمريكى للعراق فى مارس ٢٠٠٣. فلا يمر عقد من الزمان إلا وفيه هبة شعبية. تنطفئ بمجرد أن تندلع لأنها لا عصب لها قادرا على أن يستولى على السلطة وأن يكوّن سلطة بديلة. كانت نخبوية طلابية دائما وفى أقلها شعبية جماهيرية بالاشتراك مع كافة طبقات الشعب، مطالبة بالخبز والحرية فى آن واحد.

وكما يوجد فى الموروث القديم ما يجعل الجماهير مطيعة للحكام فإن فيه أيضا ما يجعل الأئمة والناس، الخاصة والعامة خارجة على الحاكم الظالم. مثل: إن أعظم شهادة قولة حق فى وجه إمام جائر. البداية بالنصيحة لأئمة المسلمين وأئمتهم، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما تقوم به صحافة المعارضة، ثم اللجوء إلى القضاء لمقاضاة الحاكم إذا ما صالح الأعداء، وتهاون فى إقامة الثغور وتقوية الحدود "للذب عن البيضة"، وإن لم يأخذ حقوق الفقراء من أموال الأغنياء، وإن قام الحكم على الظلم وليس العدل. فالعدل أساس الملك. وعليه قامت السماوات والأرض بالميزان. وحاكم كافر عادل خير عند الله من حاكم مسلم ظالم. فإن لم يرعو الحاكم فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، والخروج عليه واجب بقيادة قاضى القضاة وعلماء الأمة كما يفعل نادى القضاة فى هذا العصر.

كما يتحدث القرآن عن الشعوب والقبائل والأقوام والرهط والأناس أى الجماعات والفتية الذين آمنوا بربهم وازدادوا هدى. وفى الحديث الذى يروى أيضا عن موسى "تناسلوا تكاثروا فإنى مباه بكم أمتى يوم القيامة". ويدعو القرآن إلى تحمل الأمانة والرسالة التى حملها الإنسان طوعا واختيارا، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ﴾. هى أمانة تحقيق كلمة الله كنظام مثالى للعالم. وراثة النبى بعد استقلال العقل وحرية الإرادة.

لقد خرجت حركات التحرر الوطنى فى حياتنا المعاصرة عن جبة الحركات الإصلاحية فى المغرب العربى والسودان واليمن وفلسطين لقدرتها على حشد الناس، والتوحيد بين الوطن والعروبة والإسلام دون وضع لتصادم مفتعل بينها كما هو الحال فى القطرية المغالية، الوطن أولا أو القومية المغالية، القومية العربية العلمانية للجمع بين المسلمين والنصارى، والأصولية الأممية التى لا ترضى بأقل من

الأمة الإسلامية ودولة الخلافة. وقامت الثورات الإسلامية، المهدية، والإيرانية على أكتافها. ونجحت فى حصد الأغلبية مثل حزب العدالة والتنمية فى تركيا والمغرب. ومازالت هى أقدر الحركات والتيارات السياسية قدرة على تحريك الجماهير فى مصر والأردن. وتقاوم فى العراق وفلسطين بل وأفغانستان والشيشان.

إن الجماهير هى القادرة على ردع العدوان كما فعل حزب الله فى حرب يوليو- تموز ٢٠٠٦، والقادرة على تعمير الصحراء، وجذب العمالة والعقول المهاجرة، وإعادة ربطها بالأوطان بدلا من السكون المطبق للشارع العربى والغياب التام له. هى القادرة على رفع القهر فى الداخل ومقاومة العدوان من الخارج. التحدى هو التحول من الكم إلى الكيف. كما تنبأ الرسول بأن الأمم ستتداعى علينا كما تتداعى الأكلة على قصعتها. ليس من قلة بل نحن كثير كغثاء النحل ولكن بسبب حب الحياة وكراهية الموت أى الاستشهاد فى سبيل الأوطان وذهاب رهبة الأمة فى قلوب أعدائها.

اليسار الإسلامى إذن ليس تأويلا ثوريا تقدميا اشتراكيا يساريا للإسلام بل هو عمل جماهيرى يبدأ بتحرير الأرض وينتهى بحركة الجماهير.

# ٥- التقـــدم والتأخـــر

التقدم مطلب رئيسى لدى الشعوب النامية، شعوب أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، شعوب العالم الثالث. وهى أسماء حديثة تشير إلى العالم الإسلامى. كما أن من ضمن أسماء اليسار الإسلامى فى مصر الإسلام التقدمى فى تونس وإذا كان لفظ اليسار لفظا قرآنيا بمعانى مختلفة فإن لفظ التقدم والتأخر لفظان قرآنيان؟ فماذا يعنيان؟

وقد قرن القرآن الكريم بين التقدم والتأخر وليس بين التقدم والتخلف كما تفعل النظريات التنموية المعاصرة. فقد ارتبط التخلف والخوالف بالقتال والقعود عن الجهاد. فى حين ارتبط التقدم والتأخر بالعمل الصالح والطالح. التقدم للخير، والتأخر للشر. التقدم للحسنة، والتأخر للسيئة. وهو ما يعيه الإنسان يوم القيامة، ﴿يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾. إذ تتكشف الحقائق بعد الموت، ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾. حينئذٍ يعلم الإنسان من المتقدم ومن المتأخر، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾. وفى مقابل هذه الإمكانية للتقدم والتأخر فى الحياة عن طريق أفعال الإنسان الحر لا يتقدم الموت ولا يتأخر. ويقع فى وقت معلوم، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

والتقدم لغويا من فعل "قدم" الذى يعنى شيئين: الأول القدم بمعنى القدم فى الزمان، صفة لله، فالله قديم، والعرجون والضلال والإفك قديم، والآباء الأقدمون.

والثانى بمعنى التقدم أى المستقبل. ويرمز إلى ذلك بصورة القدم فى الرجل الذى يتقدم بالخطوة. فالتقدم إلى الأمام جهد إنسانى. فالقدم قدم صدق، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾. والقدم يخشى من زلله، ﴿وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾. لذلك يحرص الإنسان على ثبات الأقدام، ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾. ويؤخذ الأشرار بالنواصى والأقدام، من أعلى ومن أدنى، ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾. ويداسون بالأقدام، ﴿أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾.

وقد ذكر لفظ التقدم فى القرآن الكريم ثمانية وأربعين مرة. معظمها أفعال، وأقلها (ثلاثة عشرة مرة) أسماء. مما يدل على أن التقدم فعل بشرى وليس جوهرا ثابتا فى المجتمع والتاريخ، مرهون بالإرادة البشرية. والتقدم أو التأخر فعل حر، ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾. وهو مرتبط بالإرادة الحرة أو المشيئة المختارة. فلا يوجد شعب متقدم بطبيعته، وآخر متأخر بطبيعته. ليس قدرا محتوما على أحد كما تروج لذلك بعض النظريات العنصرية البيضاء ضد الأفارقة والأسيويين لولا ظهور النمور الأسيوية، والنموذج الأسيوى للتنمية والتقدم.

ومعظم معانى اللفظ فى القرآن تشير إلى الأعمال فى صورة التقديم باليد. فاليد أداة العمل. والعمل تقديم. وهو فى الغالب عمل سلبى، ذنب يرتكب أو مصيبة، ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، أو سيئة، ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾. وقد يكون التقديم أيضا للخير والعمل الصالح وليست للذنب والمعصية فحسب، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾. وهو أيضا تقديم الصدقات، ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ

صَدَقَاتٍ﴾. والنسل والذرية تقديم للنفس وتقوية للأمة. ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾.

والتقدمة تكون من النفس استعدادا للغد. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾. وقد تقدم النبى بالوعيد إنذارا وتبصرة للمتخاصمين، ﴿قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾. فَهْم المستقبل أحد وسائل التقدم.

أما لفظ "أخر" فقد ورد فى القرآن الكريم خمسة وعشرين مرة أقل كما من لفظ التقدم مما يدل على أهمية التقدم على التأخر. كلها أفعال إلا واحدة اسم فعل "المستأخرين" مما يدل على أن التأخر فعل بشرى ومسئولية إنسانية. وقد ارتبط بالتقدم (عشر مرات) مما يدل مرة أخرى على اقتران الموضوعين، التقدم والتأخر. وهما للفعل وللأجل وللأفراد وللأمم. ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾. وهنا يظهر لفظ سبق بمعنى تقدم مما يدل على أن التقدم سباق ومنافسة.

ولكل فعل وقته ولا يمكن التأجيل كما هو الحال فى الصلاة أداء أو قضاء، على الفور أو على التراخى. فالفعل مرهون بالحياة. وللحياة أجل فلا يمكن تأجيل القتال لدرء العدوان، ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾. وللدنيا أجل عندما يأتى يوم القيامة فى الوقت المحدد، ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً﴾.

تأخير فعل إبليس وحده إلى يوم القيامة ممكن. فقد طلب من الله الوقت أى الزمان لغواية بنى آدم ولإثبات أن إبليس أفضل منه، وأن آدم ليس بأفضل من إبليس، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلاً﴾. ويمكن التقدم أو التأخر فى فعل محدد مثل ذكر الله أياما معدودات فى مناسك الحج، ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ

عَلَيْهِ). ولا يفيد الندم بعد فوات الوقت. فالزمان لا يستعاد. وما انقضى لا يعود، ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾. فإذا أتت الآخرة فلا يمكن استعادة الدنيا، ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

ومع ذلك يمكن تأخير العقاب على الذنوب لاستثمار التوبة حتى يأتى الأجل، ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾، ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾، ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾. فإذا انقضت الحياة وجاء الأجل انتهى التأجيل. ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾.

لقد استطاعت اليابان تحويل مفهوم التقدم الروحى الأخلاقى فى البوذية إلى تقدم علمى وصناعى. وحولت المحور الرأسى للتقدم، التقدم إلى أعلى أو التقدم إلى الداخل، إلى أعماق النفس، إلى محور أفقى إلى الأمام، من أجل تأصيل نهضتها المعاصرة فى موروثها الثقافى القديم. كما استطاعت توسيع مفهوم التقدم الفردى إلى تقدم جماعى لأمة.

أما نحن العرب والمسلمين فلم نؤصل مفهوم التقدم فى تراثنا القديم بالرغم من أنهما مرتبتان حركيتان فى المقدمات النظرية لعلم العقائد، التقدم بالرتبة وبالشرف. وأخذنا التقدم بالمفهوم الغربى إما بمعنى النمو الاقتصادى أو بمعنى التنمية البشرية الشاملة. وحاولنا القيام بالأول أكثر من الثانى لأنه أصعب. فمن السهل تنمية الموارد بوضع خطط للتنمية. ومن الصعب تنمية البشر بمكوناتهم التاريخية الموروثة. لذلك سرعان ما انهار التخطيط. وابتلعت الزيادة السكانية كل معدلات التنمية، بالإضافة إلى التبذير، وهدر الإمكانيات. كانت التنمية مركزية بفعل الدولة ودون مشاركة شعبية كبيرة أو رقابة، ودون إحساس من الناس بأن

عائدها لهم. فإذا قامت محاولات تنموية جديدة فالأجدر أن تبدأ بإعادة صياغة مفاهيم التقدم والتأخر فى الثقافة الموروثة حتى تتأصل مشاريع التنمية فى الثقافة الشعبية، وتكون نابعة من الناس، من تاريخهم تحقيقا لمصالح حاضرهم وأملهم فى المستقبل.

# ٦- التخلف والقعود

ليس التخلف فقط فى مقابل التقدم كما هو الحال عند المعاصرين بل هو أيضا فى القرآن الكريم تخلف عن الجهاد وقتال العدو وقعود عنه كما هو الحال فى ترك الفلسطينيين يقاومون الاحتلال وحدهم دون مساندتهم من الإخوة فى العروبة والإسلام فى دول الجوار القريب أو البعيد. ليس التخلف فقط هو المعنى الاقتصادى بل أيضا المعنى السياسى. المتخلف اقتصاديا من لا يطعم نفسه ويعيش على المعونة الخارجية، والمتخلف سياسيا هو من لا يستطيع أن يقاوم ويحرر نفسه.

المتخلف عن القتال تضيق عليه الأرض بما رحبت كما حدث للثلاثة الذين تخلفوا عن القتال أيام الرسول، ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾. يشعر بالذلة والمهانة. يسير مطأطئ الرأس، منحنى الظهر، مطبق الجفنين من الإحساس بالعار والانكسار.

ولا يجوز لمن يقول أنه مسلم يتبع الرسول أن يتخلف عنه، ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾. والعرب أهل قتال وحرب فى الجاهلية من أجل العصبية والعدوان وهم كذلك فى الإسلام دفاعا عن المظلوم والمستضعف. وتسمع فى المساجد كل أسبوع ضرورة الإقتداء بالرسول. يفهم بعض المسلمين الأفارقة الإقتداء فى تعدد الزوجات لإيجاد شرعية للعادة الأفريقية. وفى الطرق الصوفية وصل الإصرار على الإقتداء إلى حد التأليه فى "الحقيقة

المحمدية"، وفى الأدعية "أغثنا يا رسول الله"، "أعنا يا رسول الله". مع أن الإقتداء به لشعب محتل هو التحرر وجهاد العدو.

وكيف يفرح المتخلفون عن الرسول فى الجهاد، ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ والإقتداء يتطلب العزة والكرامة ورفع الرأس وارتفاع القامة "مرفوع القامة أمشى"؟ إنه فرح زائف، ورضا بالحياة الدنيا. التخلف عن القتال رضا بالضيم وقبول بالمهانة، جهل وسوء فهم، ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾، وتغييب للوعى. والأعذار كثيرة للتخلف منها الانشغال بالدنيا والحرص عليها، السلطة والثروة، ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾، إيثار الدنيا على الآخرة، وتفضيل المصلحة الخاصة على المصلحة العامة. ومع ذلك يريد القاعدون والمخلفون أخذ نصيبهم من الغنائم وآثار النصر المادية والمعنوية دون جهاد ومقاومة، ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾. يريدون الغنم وليس الغرم، يحرصون على العاجل دون الآجل. مع أن الجهاد مكسب مرتين: الأولى دفع العدوان، والثانية نيل أجر الشهادة.

والمتخلفون والقاعدون مضطرون إلى مواجهة العدوان، ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾. فالجهاد مفروض على الناس لدرء العدوان، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾. وإذا كان العدوان طبيعيا فى البشر فإن الدفاع والمقاومة طبيعيان أيضا.

والقعود تخلف. والقاعدون مثل المتخلفين، ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾. فالقعود أول مرة يؤدى إلى القعود ثانى مرة حتى يصبح القعود عادة مهما وقع على الذين تعودوا على القعود من عدوان مستمر ويومى كما يحدث فى فلسطين.

القعود تكذيب للرسول، وإنكار لنبوته، وعصيان لرسالته ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾. فالإيمان ليس نظريا بل هو إيمان عملى. ليس قولا باللسان بل عملا بالأركان ومنها الجهاد. وإتباع الرسول ليس فقط فى العبادات بل أيضا فى المعاملات، ليس فقط فى الأخلاق بل أيضا فى السياسة.

القعود رفض لإتباع الرسول، ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ كما فعل بنو إسرائيل مع موسى. وفى قلوب المسلمين جميعا، الرسول قدوة. وفى شعار كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة "الرسول قدوتنا". ولم يكن قاعدا عن قتال ولا متخلفا عن غزوة. بل إنه لما لبس لامته استعدادا للقتال بناء على مشورة المسلمين الذين تراجعوا عن مشورتهم.

والقعود لا يمنع من الموت. فلكل أجل كتاب. والشهادة فى القتال خير من الموت على الفراش كما قال الشاعر:

وإذا كان من الموت بد ∴ فمن العجز أن تموت جبانا

وكما تأسف خالد بن الوليد وهو يموت بانه خاض مئات المعارك، ولا توجد قطعة من جسمه لا يوجد فيها طعنة رمح أو ضربة سيف ومع ذلك يموت فى فراش كما تموت النعاج. فالموت مصير البشر. وهكذا فسر الأفغانى الإيمان بالقضاء والقدر بأنه لا يبعث على الكسل والتواكل مادام كل شىء قد قدر سلفا بل يبعث على الشجاعة والإقدام. ومن الأفضل أن يموت الإنسان فى ساحة الوغى على أن يموت خوفا من المرض. ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾.

والاستئذان فى القعود حرص على السلطة والوجاهة والصدارة الاجتماعية، ﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾. هو إيثار للدنيا على الآخرة، وقبول الدنية فى الدين. وقديما كان يعفى من الجهادية أولاد الطبقة العليا

من الباشوات، ودفع البدلات. فيقع الجهاد على الفلاحين نزعا من الأرض "يا أعز من عينى أنا نفسى أروح بلدى، بلدى يا بلدى، السلطة خدت ولدى".

ولا يستوى القاعدون مع المجاهدين فى الدرجة والمقام، ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. فالقاعد غير المجاهد، والمتخلف غير المتقدم. وجزاء الحسنة حسنة مثلها. وجزاء السيئة سيئة مثلها. يظن القاعد أنه كسب مرتين، بالقعود خوفا من الموت وفى التمتع بالغنيمة بعد النصر، ماديا ومعنويا. وهو خاسر فى الحالتين. خسر الكرامة والعزة وخسر الشهادة والتضحية والنعيم الأوفى. ويظن القاعد أن المجاهد قد خسر مرتين، خسر حياته فى الدنيا بالاستشهاد وخسر نعيمها فى المال والبنون. وهو إدراك خاطئ لأن المجاهد كسب حياته مرتين، احترام الناس والدفاع عن العزة والكرامة فى الدنيا، والنعيم الأوفى فى الآخرة. ولا يستوون فى الأجر والفضل والجزاء، ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. فالقاعد خسر كل شىء ولم يكسب شيئا. والمجاهد كسب كل شىء ولم يخسر شيئا.

فصبرا آل غزة، إن غدا لناظره قريب. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

# ٧ـ إنما المؤمنون إخوة

فى هذا الوقت الذى يضع فيه كل فلسطينى وعربى ومسلم يده على قلبه وأنظاره إلى القاهرة لمعرفة نتيجة الحوار الفلسطينى الفلسطينى خاصة بين فتح وحماس تستدعى الثقافة الوطنية مع مفاهيم الصلح والخصام مفهوم الإخوة. فقد ورد لفظ "أخ" بكل مشتقاته فى القرآن الكريم ستة وتسعين مرة أى أنه موضوع رئيسى. بل إن اللفظ يتردد أكثر من لفظى "صالح" و"خاصم".

ويرد لفظ "الأخ" إيجابا بستة معان: الأول أخوة النبى لقومه. فالنبى أخ لبنى قومه، ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾، ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾، ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾. فالنبوة أخوة، والأخوة من النبوة. والإخوة والأنبياء لا يتقاتلون بل يتكاملون. والنبوة نموذج للسلوك الفاضل.

والثانى الأخوة للنبى مثل أخوة هارون لموسى. يخلفه من بعده حتى يعود موسى من تعبده فى سيناء. ويغضب منه عندما يجد قومه قد عادوا إلى عبادة العجل. وأخ النبى نبى مثله، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾. وأحيانا يسمى وزيرا، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾. ولكل آيات وسلطان، ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾. وقد دعيا كلاهما الى السكن بمصر، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾. ولما استخلف موسى أخاه، ﴿وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾

عصاه قومه ولم يستطع هارون الحفاظ على إيمانهم فعبدوا العجل وعاد موسى غاضبا وأخذ بلحية أخيه وألقى الألواح التى دونت بها التوراة، ﴿وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾. فبنو إسرائيل يعصون الأنبياء ويعودون إلى طبيعتهم الوثنية إذا ما تركهم النبى أو توفى.

والثالث أخوة المؤمنين جميعا بعضهم لبعض، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، فلا يجوز الخصام بينهم. ولا يجوز الفصال والقطيعة، هؤلاء فى الضفة وهؤلاء فى القطاع، ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾. والله يساعدهم، وينزع ما فى قلوبهم من غل، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾. ويؤلف بينهم، ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾.

والرابع الأخوة علامة الإيمان حتى بعد الكفر والتوبة، ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ﴾. فالإيمان مقياس الأخوة وليس المصلحة أو السلطة أو الثروة أو الاحتجاج والتذرع بالضعف والموازين الدولية، ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾، أو القعود بدعوى الإعاقة، ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ أو النفاق وتناقض القول والعمل، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

والخامس لا فرق بين الإخوة فى الجنس، ذكر أم أنثى. فالأخت مثل الأخ مثل أخت هارون أى مريم، ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾. وتسير أخت موسى لترشد القوم على من يكفل الطفل، ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾.

والسادس الإخوة فى الميراث. فالأسرة واحدة. والإخوة ، ذكرا أم أنثى، من

نظام القرابة. فلكل منهما نصيب من تركة الأب، ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾ وكذلك بنات الأخ وبنات الأخت. ومع الميراث الزواج، وعدم جواز الجمع بين الأختين، وتحريم الأمهات والبنات. فالأخوة رابطة طبيعية تسبق المصاهرة.

ويفيد لفظ الأخ سلبيا أيضا بستة معان: الأول ما فعله قابيل بأخيه هابيل بقتله غيرة وحسدا وهو ما يحدث أحيانا بين الفلسطينيين من فتح وحماس، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. بل إنه لم يشعر بضرورة مواراته التراب كما فعل الغراب، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾. وربما هذه الخطيئة الثانية قتل الأخ لأخيه أهم من الخطيئة الأولى، الأكل من الشجرة المحرمة.

والثانى عداوة إخوة يوسف ليوسف وكراهيتهم له لمحبة أبيه له، ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا﴾، ووضعه فى البئر ثم إنقاذه وبيعه إلى منزل فرعون، ثم اتهام إخوته لأخيه الثانى بالسرقة، ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾. فقد نزغ الشيطان بين يوسف وإخوته، ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾.

والثالث الجشع، رغبة ممن له تسع وتسعون نعجة أن يستولى على نعجة أخيه الواحدة، ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾. الأخوة تعنى المشاركة والمساواة، والعطاء وليس الأخذ، والكثير يذهب إلى القليل، وليس القليل الذي يذهب إلى الكثير.

والرابع غيبة الأخ لأخيه أو التعريض به علنا فى أجهزة الإعلام وتشويه صورته ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

فَكَرِهْتُمُوهُ﴾، وإعطاء الأولوية للخلاف بين الإخوة على الاتفاق بينهم، ونسيان أن بين الإخوة هناك حق موضوعى، يرمز إليه الإيمان بالعقيدة والوحى والعمل الصالح.

والخامس إخوان الشياطين الذين يفرقون أكثر مما يجمعون، وينفرون أكثر مما يوحدون والذين يبذرون فى ثروات الأوطان بدلا من المحافظة عليها، ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ هم الذين يجعلون الشيطان فيما بينهم وليس الحق أو الأخوة فى الدين، ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾.

والسادس الكافرون والمخادعون الذين يفضلون الحزب على الحق، والفصيلة على الوطن، ﴿لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ﴾، وسماع صوت الأخ مشروط بسماع صوت الحق، ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾.

ومع ذلك على كل أخ مسئولية فردية، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾، ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾. فلا ذريعة بالجماعة أو المذهب أو الطائفة. إن هذه الأخوة تمنع من الخلافات القطرية فى فلسطين والعراق والسودان ولبنان والصومال واليمن كما تمنع من الخلافات العربية وسياسة المحاور بين مصر والسعودية والأردن والمغرب من ناحية وسوريا وحزب الله وإيران من ناحية أخرى. الأخوة تآلف وتوحد، والمحاور تفرق وصراع. الأخوة من الله، والتنازع من الشيطان.

# فهـرس الكتاب

| الموضـــــوع | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| الإهـــداء | ٣ |
| المقدمـــة | ٥ |

## الفصل الأول
## كيف يفسر القرآن؟

| | |
| --- | --- |
| ١- كيف يفسر القرآن؟ | ٩ |
| ٢- النص والواقع | ١٤ |
| ٣- الوحى والواقع | ١٨ |
| ٤- التنزيـل | ٢١ |
| ٥- القـرآن | ٢٥ |
| ٦- الواقـع | ٢٨ |
| ٧- التمنـى | ٣١ |

## الفصل الثانى
## الإســـــلام التعددى

| | |
| --- | --- |
| ١- الإسلام المستنير | ٣٧ |
| ٢- الإسلام العقلانى | ٤١ |

٣- الإسلام العلمى ..... ٤٥
٤- الإسلام الإنسانى ..... ٤٩
٥- الإسلام التقدمى ..... ٥٣
٦- الإسلام الليبرالى ..... ٥٧
٧- الإسلام الديموقراطى ..... ٦١
٨- الإسلام البرجماتى ..... ٦٥
٩- الإسلام الإصلاحى ..... ٦٩
١٠- الإسلام الاشتراكى ..... ٧٣
١١- الإسلام الوطنى ..... ٧٧
١٢- الإسلام القومى ..... ٨١
١٣- الإسلام الأممى ..... ٨٥
١٤- الإسلام العلمانى ..... ٨٩
١٥- اليسار الإسلامى، اعتراضات وردود ..... ٩٣

## الفصل الثالث

## الأرض

١- الأرض ..... ١٠١
٢- الله والأرض ..... ١٠٦
٣- لله ملك الأرض وميراثها ..... ١١٠
٤- اتساع الأرض ..... ١١٥

٥- خلافة الإنسان فى الأرض ..... ١١٩
٦- الاستقرار فى الأرض ..... ١٢٤
٧- الأرض الخضـــراء ..... ١٢٩
٨- إصـــلاح الأرض ..... ١٣٣
٩- فساد فى الأرض ..... ١٣٧

## الفصل الرابع
## العدالـــة الاجتماعيـــة

١- العدالة الاجتماعية ..... ١٤٣
٢- الظلـــم ..... ١٤٧
٣- العـــدل ..... ١٥٢
٤- الفقر، رذيلة أم فضيلة؟ ..... ١٥٧
٥- الغنى، رذيلة أم فضيلة؟ ..... ١٦٠
٦- المساكيـــن ..... ١٦٣
٧- اليتامـــى ..... ١٦٦
٨- ابن السبيل ..... ١٧٠
٩- المحرومون والسائلون ..... ١٧٤

## الفصل الخامس
## الديـــن والمنفعـــة

١- هل المنفعة ضد الدين؟ ..... ١٧٩

٢- المنفعة مقياس صحة الإيمان ..... ١٨٢
٣- الدين ومنافع الناس ..... ١٨٥
٤- الإيمان ينفع ولا يضر ..... ١٨٨

## الفصل السادس

# العمـــــل

١- الإصـــلاح ..... ١٩٣
٢- الفســـاد ..... ١٩٧
٣- الذكـر والأنثـى ..... ٢٠١
٤- القـــوة ..... ٢٠٤
٥- الضعـف ..... ٢٠٧
٦- الكـدح ..... ٢١٠
٧- القسـط ..... ٢١٣
٨- الميـزان ..... ٢١٦

## الفصل السابع

# الحـريـــة

١- الدين والشرعية المزيفة ..... ٢٢١
٢- حرية الفكـر ..... ٢٢٥
٣- اليهود والعدوان ..... ٢٣٠
٤- الطغيـــان ..... ٢٣٣

٥- تحرير رقبة ..... ٢٣٦
٦- العداوة والعدوان ..... ٢٣٩
٧- الحرب والسلام ..... ٢٤٢

## الفصل الثامن
# المعرفة

١- البرهان ..... ٢٤٧
٢- الدليل والبرهان ..... ٢٥٠
٣- الحجاج ..... ٢٥٣
٤- أحسن القصص ..... ٢٥٧
٥- أساطير الأولين ..... ٢٦٠
٦- ضرب الأمثال ..... ٢٦٣
٧- إن بعض الظم إثم ..... ٢٦٧
٨- اليقين ..... ٢٧١
٩- الصدق ..... ٢٧٤
١٠- الكذب ..... ٢٧٧

## الفصل التاسع
# الحوار

١- الاختلاف الطبيعي والخلاف المصطنع ..... ٢٨٣
٢- الحوار ..... ٢٨٦

٣- الصلح خير ..... ٢٨٩
٤- هل يجوز الخصام؟ ..... ٢٩٣
٥- وجادلهم بالتى هى أحسن ..... ٢٩٦

## الفصل العاشر
# فلسفـــة الســـؤال

١- الفلسفة وحياتنا المعاصرة ..... ٣٠٣
٢- فلسفة السؤال ..... ٣٠٦
٣- السؤال النافع ..... ٣١٠
٤- السؤال وإعادة توزيع الدخل ..... ٣١٣
٥- السؤال والمسئولية ..... ٣١٧

## الفصل الحادى عشر
# الـــزمـــــان

١- القرن والتاريخ ..... ٣٢٣
٢- الزمان والدهر ..... ٣٢٧
٣- الوقت والزمان ..... ٣٣١
٤- الزمان والساعة ..... ٣٣٤
٥- اليوم بين الماضى والحاضر والمستقبل ..... ٣٣٧
٦- الفجـــر ..... ٣٤٠
٧- الضحى والعشى ..... ٣٤٣

٨- الصبح والإصباح ..... ٣٤٦
٩- الليل والنهار ..... ٣٤٩
١٠- الأمس والغد ..... ٣٥٢
١١- الحيـــن ..... ٣٥٥
١٢- الأجـــل ..... ٣٥٨
١٣- المشرق والمغرب ..... ٣٦١

## الفصل الثانى عشر

# المجتمـــــع

١- وحدة الأمة ..... ٣٦٧
٢- التنمية المستدامة ..... ٣٧٢
٣- الهوية والتغريب ..... ٣٧٧
٤- تجنيد الجماهير ..... ٣٨٢
٥- التقدم والتأخر ..... ٣٨٧
٦- التخلف والقعود ..... ٣٩٢
٧- إنما المؤمنون إخوة ..... ٣٩٦
**فهرس الكتاب** ..... ٤٠١
**لنفس المؤلـف** ..... ٤٠٩

# لنفس المؤلف

**أولا: تحقيق وتقديم وتعليق:**

١- أبو الحسين البصرى: المعتمد فى أصول الفقه، جزءان: المعهد الفرنسى بدمشق ١٩٦٣-١٩٦٥.

٢- الحكومة الإسلامية للإمام الخمينى، القاهرة ١٩٧٩.

٣- جهاد النفس أو الجهاد الأكبر للإمام الخمينى، القاهرة ١٩٨٠.

**ثانيا: إعداد وإشراف ونشر:**

١- اليسار الإسلامى، كتابات فى النهضة الإسلامية، العدد الأول، المركز العربى للبحث والنشر، القاهرة ١٩٨١.

**ثالثا: ترجمة وتقديم وتعليق:**

١- نماذج من الفلسفة المسيحية (المعلم لأوغسطين، الإيمان باحثاً عن العقل لانسليم، الوجود والماهية لتوما الاكوينى)، الطبعة الأولى، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية ١٩٦٨، الطبعة الثانية، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨، الطبعة الثالثة، دار التنوير، بيروت ١٩٨١.

٢- اسبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة، الطبعة الأولى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣، الطبعة الثانية الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٣، الطبعة الثالثة، دار الطليعة، بيروت ١٩٨١.

٣- لسنج: تربية الجنس البشرى وأعمال أخرى، الطبعة الأولى، دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٧٧، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت ١٩٨١.

٤- جان بول سارتر: تعالى الأنا موجود، الطبعة الأولى، دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٧٧، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت ١٩٨٢.

**رابعا: مؤلفات بالعربية:**

١- قضايا معاصرة، الجزء الأول، فى فكرنا المعاصر، الطبعة الأولى، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٧٦، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت ١٩٨١، الطبعة الثالثة، مجد، بيروت ١٩٨٧.

٢- قضايا معاصرة، الجزء الثانى، فى الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٧٧، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت ١٩٨٢، الطبعة الثالثة، مجد، بيروت ١٩٨٨.

٣- التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، الطبعة الأولى المركز العربى للبحث والنشر، القاهرة ١٩٨٠، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت ١٩٨١، الطبعة الثالثة، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٧، مجد، بيروت ٢٠٠٠، ٢٠٠٢.

٤- دراسات إسلامية، الطبعة الأولى، الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٨١، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت ١٩٨٢.

٥- من العقيدة إلى الثورة، محاولة لإعادة بناء علم أصول الدين، (خمسة مجلدات)، الطبعة الأولى، مدبولى، القاهرة ١٩٨٧، الطبعة الثانية، المركز الثقافى العربى، بيروت ١٩٨٨.

٦- دراسات فلسفية، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٨، دار التنوير (قرطبة)، بيروت ١٩٩٠.

٧- الدين والثورة فى مصر (١٩٥٢-١٩٨١)، (ثانية أجزاء)، مدبولى، القاهرة ١٩٨٩.

٨- حوار المشرق والمغرب، توبقال، الدار البيضاء ١٩٩٠ (بالاشتراك مع محمد عابد الجابرى)، مدبولى، القاهرة ١٩٩١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٥.

٩- مقدمة فى علم الاستغراب، الدار الفنية، القاهرة ١٩٩١، مجد، بيروت ١٩٩٤، ٢٠٠٠، مركز الكتاب للنشر، القاهرة ٢٠٠٩.

١٠- هموم الفكر والوطن (جزءان)، دار قباء، القاهرة ١٩٩٨، جـ١ التراث والعصر والحداثة، جـ٢ الفكر العربى المعاصر.

١١- الدين والثقافة والسياسة فى الوطن العربى، دار قباء، القاهرة ١٩٩٨.

١٢- جمال الدين الأفغانى، المائوية الأولى (١٨٩٧-١٩٩٧)، دار قباء، القاهرة ١٩٩٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠.

١٣- حوار الأجيال، دار قباء، القاهرة ١٩٩٨.

١٤- من النقل إلى الإبداع (تسعة أجزاء)، دار قباء، القاهرة ٢٠٠٠-٢٠٠٢.

١٥- ما العولمة؟ دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، سورية، ٢٠٠٢.

١٦- النظر والعمل والمأزق الحضارى العربى والإسلامى الراهن، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، سورية، ٢٠٠٣.

١٧- فشته، فيلسوف المقاومة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣، الجمعية الفلسفية المصرية، القاهرة ٢٠٠٣.

١٨- من النص إلى الواقع، محاولة لإعادة بناء علم أصول الفقه، جـ١ تكوين النص، جـ٢ بنية النص، دار المدار الإسلامى، بيروت ٢٠٠٥.

١٩- حصار الزمن، الحاضر (إشكالات)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة ٢٠٠٤.

٢٠- حصار الزمن، الحاضر (مفكرون)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة ٢٠٠٤.

٢١- من مانهاتن إلى بغداد، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ٢٠٠٤.

٢٢- جذور التسلط وآفاق الحرية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ٢٠٠٥.

٢٣- حصار الزمن، الماضى والمستقبل (علوم)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة ٢٠٠٥.

٢٤- برجسون، فيلسوف الحياة، المركز المصرى للمطبوعات، القاهرة ٢٠٠٨.

٢٥- نظرية الدوائر الثلاث، قراءة معاصرة بعد نصف قرن (جزءان)، دار العين للنشر، القاهرة ٢٠٠٨.

٢٦- عرب هذا الزمان، وطن بلا صاحب، دار الناقد الثقافى، دمشق ٢٠٠٨.

٢٧- من الفناء إلى البقاء، محاولة لإعادة بناء علوم التصوف، جـ١ الوعى الموضوعى، جـ٢ الوعى الذاتى، دار المدار الإسلامى، بيروت ٢٠٠٩.

٢٨- محمد إقبال، فيلسوف الذاتية، دار المدار الإسلامى، بيروت ٢٠٠٩.

٢٩- من النقل إلى العقل، جـ١ علوم القرآن، دار الأمير، بيروت ٢٠٠٩.

٣٠- من النقل إلى العقل، جـ٢ علوم الحديث، دار الأمير، بيروت ٢٠١٠.

٣١- من النقل إلى العقل، جـ٣ علم السيرة، مدبولى، القاهرة ٢٠١٢.

٣٢- الواقع العربى الراهن، دار العين للنشر، القاهرة ٢٠١٢.

٣٣- الثورة المصرية فى عامها الأول، المكتب المصرى للمطبوعات، القاهرة ٢٠١٢.

## خامسا: مؤلفات بالفرنسية والإنجليزية:

1- Les Méthodes d'Exégèse, essai sur La science des Fondements de la Compréhension, 'ilm usul al-Fiqh, le Caire, 1965.

2- L'Exégèse de la Phénoménologie, l'état actuel de la méthode phénoménologique, et son application au phénomène religieux (Paris, 1965). Le Caire, 1980. (Arabic Translation, Dar Al Amer, Lebanon, 2010).

3- La Phénoménologie de L,Exégèse, essai d,une herméneutique existentielle à partir du Nouveau Testament, (Paris, 1966). Le Caire, 1988. (Arabic Translation, Dar Al Amer, Lebanon, 2010).

4- Religious Dialogue and Revolution, essays on Judaism, Christianty and Islam, Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo 1977.

5- Islam in the Modern World, 2 vols, I- Religion, Ideology and Development, II- Tradition, Revolution and Culture, Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo 1995, Dar Keba', Cairo 2000.

6- Cultures and Civilizations, conflict or Dialogue? 2 vols, I- The Meridian Thought, II- Cultural Creativity & Religious Dialogue Cairo, Book Center for Publishing, 2006.